



الأمثال الشعبية ومقاصدها التربوية
دراسة في ضوء المقاربة التداولية

Popular Proverbs and their Educational Intentions Studied
In the Light of the Pragmatic Approach

أحلام بن عمرة

جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)، ahlam.benamra@ummtto.dz

ملخص:

يأتي هذا المقال؛ ليكشف عن مقاصد بعض الأمثال الشعبية في ضوء المقاربة التداولية انطلاقاً من الإشكالية الآتية: هل مقاصد الأمثال شعبية ظاهرة أم ضمنية وكيف يمكن التوصل لهذه الأخيرة؟ ونهدف من خلال الإجابة عن هذه الإشكالية إلى إثبات نجاعة المقاربة التداولية وإلى إبراز دور السياق في الوقوف على مضامين الأمثال الشعبية بوصفها أفعالا كلامية تهدف إلى تحريك النفوس بغرض تنظيم الحياة. واستناداً إلى ما سبق نتوقع الوصول إلى جملة من النتائج أهمها:

- معظم مقاصد الأمثال الشعبية ضمنية؛ ولا يمكن تحديدها إلى بالعودة للسياق؛

- التوصل إلى المقاصد الضمنية يحتاج إلى توثيق الصلة بين اللغة والفهم والتأويل؛

كلمات مفتاحية: الأمثال الشعبية؛ المقاصد؛ الضمني؛ الفهم؛ اللغة؛ التأويل؛ المجتمع.

Summary:

This article comes to reveal the goals of popular proverbs in the light of the pragmatic approach based on the following problems: how can the pragmatic approach reveal the implicit goals of popular proverbs? In responding to this problem, we seek to demonstrate the effectiveness of this approach and to emphasize the role of context in identifying the content of popular proverbs, and we expect the results to achieve a number of outcomes, the most important of which are: - most of the goals

of popular proverbs are implicit; they cannot be determined to return to context; to achieve implicit objectives, we must strengthen the link between language, understanding and interpretation.

Keywords: Popularproverbs; Intent; implicit; Comprehension; Language; Interpretation; Society.

1. مقدمة:

تعدّ الأمثال الشعبيّة شكلاً من أشكال الأدب الشعبيّ؛ الأكثر تداولاً والأسرع انتشاراً وهي صفوة الكلام وعصارته الصادرة عن الحكماء والبلغاء، ولذلك يتم الاستشهاد بها على مختلف ضروب الكلام؛ أي أنّها ذلك الموروث والمخزون الثقافي الذي ينقل بين طبقاته تجارب الأجيال السابقة؛ لتكون مرجعيّة للأجيال اللاحقة، وتنقل الأمثال هذه التجارب بعبارة موجزة مفعمّة بالمعاني وبطريقة فنيّة، ترفيهيّة، إقناعيّة ترمي إلى معالجة جوانب مختلفة في الحياة: ثقافيّة، اقتصاديّة اجتماعيّة... ونظراً لأهمّيّتها غدت دستوراً للحياة الإنسانيّة؛

وإنّ الهدف الأسمى من الأمثال الشعبيّة هو: الكشف عن البواعث الاجتماعيّة؛ والتعبير عن المواقف التي يمرّ بها الإنسان سواء كانت إيجابيّة أم سلبيّة؛ كما تهدف الأمثال الشعبيّة إلى توثيق عرى التّواصل بين أفراد المجتمع الواحد، وبين مختلف المجتمعات على اختلاف عاداتها وتقاليدها؛ فهي لغة ولسان الشعب المعبر عن هويته ووسيلة من وسائل فرض ذاته، ورغم أنّها ضاربة في القدم إلا أنّها لاتزال محافظة على رسالتها ومجسّدة للقيم وصالحة لكلّ زمان ومكان.

وقد استطاعت الأمثال الشعبيّة أن تفرض وجودها، وتحافظ على قيمتها الأدبيّة، نظراً لما تنماز به من مميّزات وتنسجم به من خصائص وصفات، كما تؤدي دوراً مهماً في المحافظة على هوية الأمة بوصفها تراثاً إنسانياً عريقاً وعملاً يُضمّر قوّة داخلية تبعث على التّحرك، إضافة لذلك؛ فإنّ للأمثال الشعبيّة تأثيراً مهماً على تصرفات الأفراد على اختلاف مستوياتهم الفكريّة وطبقاتهم الاجتماعيّة. وهذه الأمثال على اختلافها تعبر عن تاريخ وفكر الأمم. ولذلك حظيت بالدراسة من قبل الباحثين في عمق الثقافة وبرزت بوضوح في مدوناتهم، ومخطوطاتهم، التي أصبحت ذخيرة معرفيّة للمكتبة العربيّة؛ فالأمثال الشعبيّة موروث ثقافي ومخزن للمعارف، والتّجارب؛ وهي وسيلة لنقل المعرفة العلميّة، وترسيخ بعض القيم وتصوير بعض الظواهر الاجتماعيّة. ولا يمكن التّوصل إلى معانيها الحقيقة إلّا

بالإحاطة بجميع الظروف المحيطة بها بوصفها أفعال كلامية تهدف إلى توجيه المخاطبين ولذلك نجد بأن معظم معانيها ضمنية.

ويعد البحث عن المعنى الضمني في الخطاب سواء أكان شعراً أم نثراً أم تراثاً شعبياً... من صميم الدراسات التي ترى بأن المعنى هو أساس التفكير اللساني المعاصر، الذي يرى بأن اللغة تتضمن مقاصدا يتم تبليغها للمخاطبين على اختلاف قدراتهم الذهنية؛ الأمر الذي يتطلب معرفة قرائن السياق وجميع الظروف المحيطة بالحدث الكلامي، وكل ما من شأنه أن يساعد على بلوغ المعنى، ليكون هذا الأخير بذلك قد تخلص مع بزوغ الدراسات اللسانية المعاصرة من التصور الذي يحصره في ما هو لغوي محض؛ ليشمل ما هو غير لغوي؛ أي كل العوامل الخارجية المتمثلة في العادات والتقاليد، والعقائد والذكريات... وافتراضات حول الحالات الذهنية لأطراف الخطاب؛ لأن ذلك يمكّننا من التوصل إلى المعاني الضمنية للأقوال والخطابات المختلفة.

ومن هذا المنطلق يأتي هذا المقال ليكشف عن المقاصد الضمنية لشكل من أشكال الأدب الشعبي: ألا وهو الأمثال الشعبية؛ في ضوء المقاربة التداولية انطلاقاً من الإشكالات الآتية: ما المقصود بالضماني؟ كيف يمكن أن تساعدنا التداولية في التوصل إلى المعاني الضمنية الكامنة في بعض الأمثال الشعبية؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة ننطلق من جملة من الفرضيات أهمها:

- أليس الضمني هو المعنى الخفي الذي نتوصل إليه عن طريق عملية التأويل؟
- أليست التداولية هي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة اللغة في سياق الاستعمال؟
- ألا تعدّ الأمثال الشعبية أقوالاً تحتاج إلى العودة إلى السياق للوقوف على مقاصدها؟

وقد دفعتنا طبيعة دراسة هذا الموضوع إلى اتباع المنهجية الآتية:

1. الأمثال الشعبية: والمقاصد الضمنية:

1.1.1. الأمثال الشعبية المفهوم والمميزات: تنقل الأمثال تجارب الأفراد عبر الزمن بأساليب موجزة، مفعمة بالحكمة بهدف الاستفادة منها في شتى الميادين، ويتميز المثل عن غيره من أشكال الأدب الشعبي أنه كثير التداول بين الناس؛ إذ لا تخلو الحوارات اليومية منه، كما يستخدمه الخطباء أثناء إلقاء خطبهم؛ ليعززوا من طاقتهما الحجاجية؛ فالمثل إنجاز كلامي، يبعث على التحرك، وإنجاز أفعال مستقبلية، ومن خصائصه أنه - المثل -

يحاكي كلّ الناس على اختلاف ثقافتهم وأقدارهم، ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية؛ ولذلك أولى العلماء مصطلح " المثل " عناية فائقة، وقد ورد تعريفه اللغوي في عديد المعاجم ولم يخرج عن معنى: "النّظير والصفة والعبرة وما يجعل مثلاً لغيره يُحذا عليه إلى غير ذلك من المعاني"^[1]؛ أما اصطلاحاً فإنّ المثل الشعبي: « عبارة عن جملة أو أكثر تعتمد السّجع، وتستهدف الحكمة والموعظة.... المثل الشعبي تقطير لقصة أو حكاية، ولا يمكن معرفته إلّا بعد معرفة القصة أو الحكاية التي يعبر المثل عن مضمونها»^[2]؛ نفهم من هذا التعريف بأنّ المثل الشعبي عبارة عن عصارة التجارب وخلاصة القصص، وإنّ استكناه مضمونه يتطلب العودة للسّياق الذي يعنينا على فهم المعنى المتضمن في المثل، إذ لا يمكن الإحاطة بدلالته اعتماداً على صريح العبارة؛ لأنّ المثل يتميّز عن غيره من الكلام «بالإيجاز ولطف الكناية، وجمال البلاغة، وحقائق واقعية بعيدة كلّ البعد عن الوهم والخيال، ومن هنا تتميز الأمثال عن الأقاويل الشعريّة»^[3] فهو قسم من التراث الشعبي المميّز بطابعه الإبداعي والهادف نظراً لما يزرخ به من قيم ثقافيّة واجتماعيّة.... تسهم في بناء المجتمع من خلال الاستفادة من تجارب الغير.

ويتداخل مصطلح "المثل" مع مصطلح الحكمة إلى درجة أننا نجد من لا يفرق بينهما رغم وجود بعض الفروق الدّقيقة وفي ما يأتي بيان ذلك^[4]

- أسلوب المثل يكون موجزاً دائماً، عكس أسلوب الحكمة الذي قد يطول نسبياً.
- سهولة انتشار، وتداول المثل الشعبي على عكس الحكمة التي يصعب فهم بعض معانيها خاصة عند الإنسان العادي البسيط؛
- المثل يصدر عن عامّة النّاس، وعند مختلف طبقات الشّعب بخلاف الحكمة التي لا تصدر عن طبقة معيّنة من الناس؛
- ويحمل المثل معنيين وهما: المعنى الظاهر والمعنى الضمني؛ وسنركز في مقالنا هذا على المعنى الضمني.

2.2. المقاصد الضمنية وآليات الفهم: اهتم الباحثون على اختلاف وجهاتهم وتعدد مشاربهم بالمعنى الضمني للأقوال وهذا ما أكدّه لنا أبو بكر العزاوي بقوله: «قد لا نجانب الصواب إذا قلنا إنّ همّ الفلاسفة الأول واللّغويين القدامى ولساني اليوم على اختلاف مقاربتهم في البحث كان منصبا على البحث في الضمني، ومفاهيمه ودرجاته وطريقة إنتاجه، وآليات تفكيكه، وإدراكه، وتأويله...ويمكن أن نصوغ تعريفاً مبدئياً للضماني: فنقول إنّّه

الإحالة الخفية، والأثر غير الظاهر للمنطوق وهو المسكوت عنه لقصد من المتكلم، لأسباب أخفاها ولم يظهر في مستوى الإنجاز النطقي وهو – أي الضمني- ما لا يقال، ولكن يدل اللفظ عليه ويحيل التلفظ إليه»^[5] فالضمني هو مركز التفكير التداولي، ولم يعد مضمون العبارات يقتصر على ظاهر القول بل تجاوزها إلى ما هو ضمني؛ بمعنى أننا لا نكتفي عند تحليلنا للعبارات بالوقوف على المعنى الظاهر، وإنما نتجاوزه إلى المعنى الباطن أي البحث عن كيفية إنتاج المتكلم للأقوال وطريقة توصيلها للمخاطب بدرجة تتجاوز معنى ما قاله، ولا يمكن للمُخاطب أن يفهم مراد المتكلم إلا بالمرور عبر مجموعة من العمليات الاستدلالية التي يتم فيها تجاوز المستوى الترميزي إلى المستوى التأويلي؛ الأمر الذي يجعل المتكلم يستحضر المخاطب أثناء إنتاج خطابه حتى يتوصل المخاطب للمقاصد الضمنية.

وتتصل التداولية بمقاصد اللغة انطلاقاً من اهتمامها المنهجي بالوظيفة الإنجازية للأفعال الكلامية، والتي تتضمن مقاصد ظاهرة وأخرى ضمنية، أي أنها تحمل في طياتها معلومات نتوصل إليها انطلاقاً من فك رموز اللغة؛ وهناك مقاصد تستدعي عمليات ذهنية تساعدنا على تحديد مقاصد الأفعال الكلامية.

وتحدد المقاربة التداولية مقاصد الأفعال الكلامية انطلاقاً من وظيفتها التواصلية وهي مقاصد في غالب الأحيان ضمنية؛ والجدير بالذكر أن المعنى الضمني في ظل هذه المقاربة يوصف على أنه عملية ذهنية أساسية في بناء الخطاب وتأويله، نفهم من هذا القول بأن التداولية غيرت من النظرة التي كانت سائدة والتي مفادها أن فهم اللغة مقتصر على فك رموزها إلى نظرة جديدة ترى أن فهم الأقوال يعتمد على التأويل.

إن التأويل هو تلك «العملية الفكرية التي تستهدف بلوغ المعنى، وبذلك يكون من اليسير علينا استنتاج حاجة المؤول إلى تمثيل المعنى أي ما نريد بلوغه عبر تلك العملية المسماة تأويلاً»^[6] فالتأويل عملية تهدف من خلالها إلى الكشف عن المعاني الضمنية للعبارات؛ وذلك بالانتقال من مستوى فك الرموز اللغوية إلى مستوى الفهم ومن ثم التأويل ولا يمكننا أن ننكر الترابط الوثيق بين «التأويل والفهم واللغة؛ فإذا كان التأويل يعتبر الصورة الملموسة للفهم ومرحلة تالية له؛ فإن اللغة ومختلف الصور الذهنية للتأويل هي ما تمثل وحدها البنية الداخلية لهذا الفهم، مما يعطي اللغة دوراً مركزياً في العملية التأويلية، ويجعل من اللغة الوسط الكامل للتجربة التأويلية فلا يمكننا استنباط المعنى من اللغة إلا من خلال الفهم ولا يمكننا فهم هذا الوجود إلا من خلال سلطان اللغة»⁷ أي أننا ننطلق من

اللغة لنفهم مقاصد اللغة عن طريق عمليات استدلالية تؤطرها مقاربات كثيرة لإنتاج الجمل وتأويلها منها: المقاربة التي صاغها (غرايس) Grice وتحدث ضمنها عن مفهوم الاستلزام التخاطبي ومبدأ التعاون.

ينص مبدأ التعاون عند غرايس Grice على الضروري «أن يحترم طرفا الخطاب قواعد التعاون الأربع المتفرعة عنه وهي: قاعدة الكم، والكيف، والصدق، والملاءمة»^[8] وهذا يعني بأنه لا يمكننا الوقوف على متضمنات القول دون مراعاة قواعد المحادثة؛ لأنها تسهم بدرجة كبيرة في عملية التأويل، وتعين المهتمين بتحليل الأقوال على التوصل إلى المقاصد الضمنية؛ فهي لا تمثل مجرد قواعد محادثة؛ وإنما تمثل مبادئ تأويل؛ لأنها تساعد المخاطب على فهم الخطاب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ ماهية الخطاب «ليست مجرد إقامة علاقة تخاطبية بين جانبيين فأكثر؛ لأن هذه العلاقة على قدر فائدتها، قد توجد حيث لا يوجد طلب إقناع الغير بما دار عليه الخطاب؛ فقد يحصل أحد الجانبين على القصد من المطلوبين في قيام هذه العلاقة، وهما: قصد التوجه إلى الآخر وقصد إفهامه مراداً مخصوصاً، من غير أن يسعى إلى جلب اعتقاد أو دفع انتقاد، ولا أن يزيد في يقين أو ينقص من شك وإنّما حقيقة الخطاب تكمن في كونه يضيف إلى القصد من التخاطبيين المذكورين قصدين معرفيين هما: قصد الادعاء وقصد الاعتراض»^[9]، فلا يتضمن الخطاب مجرد معاني يهدف منتج الخطاب إلى تبليغها للمتلقى، وعلى هذا الأخير أن يقبلها، وإنّما يحمل الخطاب مقاصداً يمكن للمتلقى أن يعترض عليها انطلاقاً من تجاربه التي اكتسبها في الحياة؛ ونقلت له في خطابات شعرية ونثرية وفي أشكال الأدب المختلفة، وإنّما لمن نافلة القول التذكير بأنّ الأمثال الشعبية تعد شكلاً من أشكال الأدب التي تلخص لنا تجارب الأفراد ناهيك عن تضمينها مبادئ تربوية وتعليمية وأخلاقية.

3. السياق التداولي وتجليات المقاصد التعليمية التربوية للأمثال الشعبية.

3.1. السياق التداولي وشروط القصد اللغوي: تؤدي بعض الأمثال وظيفة تعليمية إرشادية، ويتجلى لنا ذلك بوضوح بعد العودة إلى سياقات ورودها وفي ذلك إشارة إلى «أنّ المعنى ليس شيئاً متأسلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده؛ فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب في سياق محدد، مادي، واجتماعي، ولغوي؛ وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما»^[10]؛ يبدو أنّ تحديد مقاصد

الأقوال، يتطلب الأخذ بعين الاعتبار كل الظروف المحيطة بالمثال الشعبي به بوصفه حدثاً كلامياً؛ أضف إلى ذلك ضرورة استحضار كل العناصر التي من شأنها أن تعيننا على بلوغ المعنى ونذكر منها: المتكلم، والمخاطب، وطبيعة العلاقة بينهما، وظروف الزمان والمكان، والسياسات بنوعيه الداخلي والخارجي؛

وتستند التداولية إلى السياق؛ أثناء دراستها للغة؛ لأنه يؤدي دوراً كبيراً في الكشف عن مقاصد الخطاب المختلفة؛ حيث اعتمد التداوليون في دراستهم لمسألة السياق على "تجاوز الإطار اللغوي المحض إلى السياق الاجتماعي والنفسي والثقافي"¹¹؛ نفهم من هذا بأن للسياق حقولاً معرفية كثيرة تتوزع عبر فضاءات معرفية كثيرة منها ما هو مرتبط بالمتكلم والمتلقي، وشروط الإنتاج اللغوي والزمان والمكان (...) وغيرها¹²؛ الأمر الذي يقتضي الاستعانة بهذه الحقول للوقوف على مقاصد الأفعال الكلامية .

إنّ القصد هو الأصل في الأقوال والأفعال، وبناءً على ذلك وضع الباحثون شروطاً للقصد اللغوي منها ما تعلق بالمتكلم، ومنها ما تعلق بالمخاطب، وفي ما يأتي بيان ذلك^[13]

- الشرط المتعلق بالمتكلم: يتمحور هذا الشرط حول القدرات الذهنية للمتكلم، وحول حالته النفسية؛ فلا يمكن له أن ينجز خطاباً مفهماً بأفعال كلامية تأثيرية إلاّ وطاقته النفسية وقدراته الفكرية مجتمعة متأزرة بهدف بلوغ الكلام تمامه ومن ثم مقصده؛

- الشرط المتعلق بالمخاطب: ينبغي للمخاطب أن ينتبه لما يلقي إليه حتى يتمكن من فهم القصد؛ ذلك أن هذا الأخير يجعل المخاطب يخرج الخطاب من مستوى فعل الكلام إلى مستوى لازم فعل الكلام مروراً بقوة فعل الكلام. مستعينا بالسياق الذي يمثل أحد المحاور الأساسية، والتي أفضى الحوار بصدها إلى تثير الدراسات اللغوية التي تمخضت؛ فأنجبت درس التداوليات؛ الذي لا يمكن اعتباره إلاّ دراسة للأقوال في سياقات استعمالها¹⁴ وفيما يأتي سنوضح أهمية السياق في الإلمام بمقاصد التعليمية والتربوية للأمثال الشعبية

2.3. المقاصد التعليمية التوجيهية للأمثال الشعبية:

تؤدي الأمثال الشعبية دوراً توجيهياً بطريقة غير مباشرة وهي بذلك تهدف إلى تحريك النفوس وتوجيهها الوجهة التي تترتب عنها المنفعة للمخاطب؛ إذ تعد عصارة للتجارب والتي ينبغي للإنسان استثمارها قبل أن يقع في الأخطاء ذاته؛ أضف إلى ذلك أن الإنصات للمثل يساعد الإنسان على تنظيم مناحي حياته؛ فمثلاً الإنسان الذي لا يعرف قيمة المال سيعيد النظر إذا اطلع على القصة التي تقف وراء المثل الآتي: "على قد لحافك مدّ رجلك" تقف

وراء هذا المثل قصة فحواها أن هناك شاباً ترك له أبوه إرثاً كبيراً وأمواً طائلة، وكان هذا الولد يصرف أمواله على كل صغيرة وكبيرة، ويبذر أمواله في قضاء أشياء لا فائدة منها، حتى نفذت كل أمواله، وتعرض لأزمة مالية، فأضطر للبحث عن عمل، وإذا به يصادف مالكا لأرض فلاحية، ولما سمع بقصته، وظفه عنده، ونصحه قائلاً: على "قَدْ لِحَاكُكَ مُدَّ رُجْلِكَ"؛ أي: اصرف على قدر احتياجاتك، وحافظ على أموالك، ولا تبذر أموالك؛ وبعد اطلاعنا على قصة هذا المثل تبين لنا بأنه عبارة عن فعل كلامي تجاوزت دلالته المعنى الظاهر إلى المعنى الضمني، فلو وقفنا على ظاهر الكلام لما فهمنا المقصود الحقيقي لهذا المثل، فليس المقصود منه أن يلبس الإنسان اللباس الذي يناسب مقاسه، أو أن يمدّ رجله بالمشي أو الرياضة... وإنما ورد هذا المثل في سياق التّهي عن التّبذير، ليكون بذلك المعنى ضمنياً

وتعرف (أوركينيوني) Orecchioni الضمني بقولها: "الضمني هو أشياء تقال بعبارات مقنعة وآراء وأفكار مبطنّة ومضمرة تحت الأسطر وبينها، تفرض على المخاطب التّفكير في شيء له صلة بما قيل"^[15] وهنا تتجلى أهمية التداولية بوضوح والتي تبحث في المعنى المخفي وراء الملفوظ؛ ويُعدّ "سيرل" Searle من الأوائل الذين اهتموا بدراسة الأفعال الكلامية غير المباشرة وقد عرّفها بقوله: "هي الحالات التي يكون فيها معنى القول مخالفاً تماماً لصيغة الجملة بطرق وكيفيات مختلفة"^[16] فصيغة الجملة لا تدلّ على معناها، وإنما تدلّ على معنى آخر مخالف لمعناها، ولا يمكن أن نتوصل إليها بمجرد فك الشفرة.

ومن الأهمية بمكان أن نذكر بأنّ اللغة هي شفرة «تزاوج بين التمثيلات الصوتية والدلالية للجملة؛ إلا أنّ هناك فجوة بين التمثيلات الدلالية للجملة والأفكار التي توصلها القولات، هذه الفجوة لا تملأ بالمزيد من التفسير بل بالاستدلال،... فقد تمّ وصف التواصل على أنّه عملية إدراك استدلالٍ لمقاصد المتواصل المتكلم»^[17] فتأويل الأقوال يقوم على التفسير والاستدلال معاً، ولا يمكن الاستغناء على واحد منهما؛ فلو توقفنا عند مستوى التفسير لما تمكنا من فهم القصد الكامن وراء المثل السابق الذي جاء بهدف تعليم الناس كيفية صرف المال في الأشياء المفيدة، لأنّ الإنسان إذا بذّر ماله سيصبح فقيراً، وإذا أصبح فقيراً سيفقد مكانته في المجتمع؛ أضف إلى ذلك أنّ: "قلة الشيء ترشي وتنوؤ من الجماعة": فكلمة قلة الشيء تعني: الفقر، وقلة الرزق، والمثل يشير إلى أنّ الفقير ليس له مكانة عند بعض الأغنياء، حتّى أنّهم لا يعطونه قيمته الحقيقية، بل هناك من الأغنياء من

يذل الفقير، ولا يراعي مشاعره، فالمثل هنا جاء بهدف حث الإنسان على العمل واكتساب الرزق الطيب؛ وعليه فإن دلالة المثل جاءت ضمنية.

ونجد في السياق ذاته أمثالا متداولة من قبيل: "الزوالي كلامه مسوس:" يبين لنا هذا المثل البعد الطبقي، ويصوّر لنا حالة الفقير بين أفراد مجتمعه، كما يصوّر لنا الأوضاع الاجتماعية ويعكس لنا الصورة الآنية لكثير من المجتمعات التي تميزها بين الغني والفقير؛ فالغني حديثه عذب لذيذ: قد وضع الملح على كلّ لفظ من الألفاظ التي يلفظها، وكثيراً ما يغطي ماله الكثير على عيوبه.

يبدو أن المعاني الضمنية لهذه الأمثلة تدفع السامع إلى التغيير وتؤثر فيه من أجل القيام بأفعال مستقبلية من ذلك الحث على العمل، ووضع خطة استراتيجية لصرف المال في الأمور المفيدة.

وجدير بالذكر أن كلّ الأمثال السابقة تمّ تحديد دلالتها بالعودة إلى سياق ورودها ومن الأمثلة الشعبية المتداولة في الأوساط نجد المثل الآتي: "الكذب حبله قصير" والذي تقف وراءه قصة مضمونها أنّ تاجرا من تجار بغداد تعرض لسرقة من عامل من عماله، ففكر في طريقة تساعد على التعرف على السارق؛ فوزع حبلا على كلّ عاملٍ طوله نصف متر، وطلب منهم أن يأتوه غداً صباحاً مخبراً إياهم بأنّ طول الحبل سيزيد غداً بعشر سنتيمترات، وفي اليوم الموالي قدم الخدم، ومعهم الحبل، ولما نظر التاجر إلى الحبال وجد حبل أحدهم قد نقص منه عشر سنتيمترات؛ فعرف التاجر بأنّه هو السارق وقال قوله: الشّهير: "الكذب حبله قصير"، ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا المثل متداولاً بين النّاس؛ وقد توصلت إلى معنى هذا المثل بالعودة إلى السياق؛ فلو وقفنا على البنية السطحية لهذا المثل لما تمكنا من بلوغ المعنى المراد؛ فالكذب شيء معنوي لا يملك حبلا في الحقيقة، وإنّما جاء المثل على صيغة كناية معناها أن الكذاب مهما طال الزمن ستكشف حقيقته، ولا يمكن أن يستمر الكذاب في كذبه؛ لأنّ الحقيقة تظهر.

ومن الأمور الحقيقية التي لا يمكن أن ننكر مع الأسف وجود بعض النّاس والذين بمجرد أن يرزقهم الله من فضله؛ ينسون ما كانوا عليه ويتكبرون على غيرهم غير مباليين بحقوق الجار والمثل الاتي يصور ذلك: «حُبَابُنَا دَارُوا حُبَابِ أَخْرَيْن، وَسَدَّوْا بَابُنَا بِالطَّيْنِ: ورد هذا المثل في سياق الحديث عن توتر العلاقات بين الأفراد بسبب تغيّر الأوضاع الاجتماعية؛ حيث يفقد أحبابه، ويتغير أصدقاؤه عليه بسبب تدهور أوضاعه، فلا يجد

الإنسان أحبابه وقت الضيق والشدة. كما أن بعض الناس لا يرغبون في مجالسة الفقير، وبعض منهم يتكبرون عليه؛ وعليه؛ فإنّ البنية الحرفية للفعل الكلامي الذي تضمنه المثل تدل على أنّ أحبابنا بنوا بيتا جديدا أو غيروا المسكن، ووضعوا بيننا وبينهم بابا، وأمّا المتدبر في هذا المثل يلحظ بأنّه ينطوي على مضمون فحواه أنّ تغير الأوضاع يتسبب في تغير معاملة الناس اتجاهنا؛ ويبقى فقط الصديق الحقيقي، والأقرباء المقربين جداً، ولذلك يجب أن نحافظ عنهم حتى تتوثق عرى التّوصل بيننا وبينهم.

وبناء على ما سبق يجب أن نعمل بمضمون المثل الاتي: "إذا شُفْتُ الْعَيْبُ فِي خَوْكُ جَيْبِ الْإِبْرَةِ وَرَقَّعُ، مَاثِي تُجِيبُ الْمَوْسُ وَتَقْطَعُ": يأتي هذا المثل في سياق الردّ على الذين يغتابون الناس، ويفشون أسرارهم وعيوبهم، ويشعلون نار الفتنة؛ فبدل أن يقدّموا النصيحة على العيوب، ويوجهون أصدقاءهم إلى طريق الصّواب، ويرشدهم إلى الحق، يفضلون اغتيالهم وأكل لحومهم غير آخذين ببعض المعاني التي حثت عليه بعض الأمثلة الشعبية؛ ومن ذلك المثل الشعبي المتداول: "ما يحك جلدك غير ظفرك": يتضمن هذا المثل معنيين: أولهما ظاهرٌ ويعني أن نستعمل أظافرنا في حك جلودنا، وأمّا الثاني فجاء ضمنياً إذ يهدف إلى توطيد العلاقات بين الأقارب؛ حيث لا نجد وقت الضيق والشدة لا نجد غيرهم: "خوك خوك ولا يغرك صاحبك"

وخلاصة القول فإنّ المتتبع لهذه الأمثلة الشعبية يلاحظ بأنّ معانيها جاءت ضمنية؛ وأنّ السّياق هو الذي أعاننا على الإحاطة بمضامينها، ومن هذا المنطلق فإنّه بات من المهم أن ندرس اللّغة في سياقات استعمالها؛ لكي نفهم القصد منها ذلك أن: القصد قصدان قصدان: قصد تبليغ محتوى معين، وقصد تحقيق هذا القصد نتيجة لتعرف المخاطب عليه، وفي نفس هذا التوجه يميز أصحاب نظرية المناسبة دان سبرير وديردر ويلسون بين قصدين استلهمهما من نظرية غرايس¹⁸ Grice وهما:

أولاً: القصد الإخباري: وهو أن تجعل مجموعة من الافتراضات ظاهرة أو أكثر ظهوراً للمستمع؛ أي ما يريد المتكلم تبليغه للمخاطب؛ إذ يتضمن كلامنا في كثير من الأحيان معان ضمنية يرغب المتكلم في أن يبلغها للمخاطب.

- القصد التّواصلي: أن تجعل من الظاهر تبادلياً للمستمع وللمتواصل بأن يكون للمتواصل هذا القصد الإخباري؛ أي تمكين المخاطب من التوصل إلى القصد الإخباري، إذ لا يمكن التوصل إلى مقاصد العبارات بمجرد فك رموز اللغة وإنما نتجاوزه إلى مستوى التّأويل

الذي يتحقق عبر عمليات استدلالية والتي هي جملة من العمليات الذهنية التي تساعدنا في التوصل إلى الدلالات الضمنية لمجمل العبارات والأقوال.

4. خاتمة:

تتمثل أهم النتائج التي توصلت إليها فيما يلي:

- إنّ الأمثلة الشعبية نوع من أنواع التراث الشعبي الذي يحتاج إلى دراسة عميقة تتجاوز فيها المستوى الترميزي حتى نتوصل إلى المعنى الضمني الكامن فيها، لأنّ الأمثال الشعبية ليست وسيلة للترفيه فحسب؛ وإنّما وسيلة للتأثير والإقناع؛
- إنّ الوقوف على معاني الأمثلة الشعبية التي تزخر بها ثقافتنا الجزائرية والعربية يتطلب العودة إلى السياق لأنّ السياق ليس مجرى معطى لإغناء المعلومة فقط، وإنّما هو معطى لتحديد متضمنات الخطاب، وإنّ البحث فيها هو من صميم الدّراسات اللّسانية المعاصرة؛

- الأمثال الشعبية عصارة التجارب وزبدة التراث؛ تصور لنا الظواهر الاجتماعية في قالب موجز وتكون معاني الأمثال ضمنية ويتم التوصل إلى معانيها عن طريق التّأويل.
- تجلي البعد التّعليقي للأمثال الشعبيّة؛ والتي تهدف إلى تلقين النّاس دروسا مهمة، وإنّ الأخذ بمعانيهم يعينهم على النجاح في الحياة ويدفعهم للتغيير.
- بروز نجاعة المقاربة التداولية في الوصول لمقاصد الأمثال الشعبيّة؛ لأنها مقارنة توثق العرى بين اللّغة والفهم والتّأويل؛

المقترحات:

- ونظرا لأهمية هذا القسم من التراث الشعبي؛ فإننا نروم من الباحثين أن يولوه الأهمية الكبيرة؛ بوصفه تراثا يعبر عن موروث أمة عريقة؛
- يستحسن استثمار المقاربة التداولية في التوصل لمقاصد الخطابات المختلفة.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- غنية عابي، الدلالات الاجتماعية في الأمثال الاجتماعية منطقة أولاد عدي لقبالة أنموذجا، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، الجزائر، 2016، ص 8.
- 2- التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1990، ص 155

- 3- غنية عابي، الدلالات الاجتماعية في الأمثال الشعبية، منطقة أولاد عدي لقبالة – أنموذجا-،
4- المرجع نفسه، ص 18.
- 5 - عز الدين النَّاجح، تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب بحوث ومحاولات،
مركز النشر الجامعي، تونس، ط1، مركز النشر الجامعي 2015، ص 201.
- 6 - صابر الحباشة، أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب مقارنة عرفانية تداولية، دار زهران للنشر
والتوزيع، عمان، ط1، ط1، 2010، ص 21.
- 7- مهدي منصور، مظهرات الدائرة التأويلية في النموذج الحجاجي، مجلة فصل الخطاب، المجلد 11، (ع
3)، مخبر الخطاب الحجاجي، 2022، ص 29
- 8بول غرايس، المنطق والمحادثة : تر: محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، مجلة السيميائيات، المجلد 1
العدد (1)، مخبر السيميائيات وتحليل الخطاب وهران 2005،، ص 190.
- 9 - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998 ص
225.
- 10- أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية، ط1، عالم الكتب الحديث،
الأردن: 2015 ص 10
- 11- علي آيت أوشان، السِّياق والنَّص السَّعْري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار
البيضاء 2000، ط1، ص16.
- 12- المرجع نفسه، ص 16، 17.
- 13- أحمد كروم، مقاصد اللّغة وأثرها في فهم الخطاب السَّعْري، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع،
عمان، ط1، 2015، ص 23.
- 14- رضوان الرقي، من البلاغة إلى التداولية، دراسة تحليلية في البنية والتصور، عالم الكتب الحديث
للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2018، ص 9.
- 15-Kerbrat Orecchioni, L'implicite, Paris, Armand Colin, 1986, p6.
- 16- J. RSEARL : Sens et expression, études de théorie des actes de langage, trad et – préface- par, Joelle Proust,
Paris : 1982 ,P72.
- 17- دان سبيرير، ديدري ولسون، نظرية الصلّة أو المناسبة في التواصل والإدراك، تر: هشام إبراهيم عبد
الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، بيروت، 2016، ص 31 .

18- المرجع نفسه، ص 112، 116.

قائمة مراجع البحث:

الكتب:

- ✓ التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1990، ص 155.
- ✓ عز الدين النّاجح، تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب بحوث ومحاولات، مركز النشر الجامعي، تونس، ط1، مركز النشر الجامعي 2015، ص 201.
- ✓ صابر الحباشة، أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب مقارنة عرفانية تداولية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ط1، 2010.
- ✓ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998.
- ✓ - أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن: 2015.
- ✓ - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- ✓ - أحمد كروم، مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015، 1..
- ✓ رضوان الرقي، من البلاغة إلى التداولية، دراسة تحليلية في البنية والتصور، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2018.
- ✓ دان سبيرير، ديدري ولسون، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، بيروت، 2016، ص 31
- ✓ Kerbrat Orecchioni, L'implicite, Paris, Armand Colin, 1986
- ✓ J. RSEARL : Sens et expression, études de théorie des actes de langage, trad et préface par, Joelle Proust, Paris : 1982 ,P72.

المقالات:

✓ مهدي منصور، تمظهرات الدائرة التأويلية في النموذج الحجاجي، مجلة فصل الخطاب، المجلد 11، (ع 3)، مخبر الخطاب الحجاجي، 2022، ص 29

✓ بول غرايس، المنطق والمحادثة : تر: محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، مجلة السيميائيات، المجلد 1 العدد (1)، مخبر السيميائيات وتحليل الخطاب وهران 2005،، ص 190.

أطروحة:

✓ غنية عابي، الدلالات الاجتماعية في الأمثال الاجتماعية منطقة أولاد عدي لقبالة أنموذجا، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، الجزائر، 2016